

التزعة الحديثية في تفسير كلمة «الظلم» بـ«الشرك»
في الآية ٨٢ من سورة الأنعام (دراسة ونقد)
د. رحيم خاكبور (باحث رئيس) *
د. آزاد موشقي (باحث سالك) **

(*) أستاذ مساعد بقسم علوم القرآن الكريم و الحديث - جامعة بيام نور - إيران
(**) أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية و آدابها - جامعة بيام نور - إيران

ملخص البحث:

النزعة الحديثية أو ترجيح مقتضى الأحاديث على مقتضى الآيات القرآنية: ظاهرة سادت قديماً في تفكير طائفة كبيرة من المحدثين والمفسرين؛ وذلك مما يتطلب تحريماً من كلا جانبيه: النظري والتطبيقي إذ لم يطرقها الدارسون بما فيه الكفاية رغم قدمها. ومن الناحية التطبيقية يمكن اعتبار تفسير الظلم بالشرك في سورة الأنعام من أبرز مصاديق تبني النزعة الحديثية لدى المفسرين، فبالرغم من أن لفظ «الظلم» في الآية ٨٢ من سورة الأنعام استعمل نكرة في سياق النفي وهذا يدل على عموم المعنى، غير أن أهل التفسير قد خصصوه بالشرك، وفسروه بهذا المعنى بناءً على الروايات الواردة في هذا المجال.

يهدف هذا البحث إلى دراسة وتقييم أدلة القائلين بتعميم لفظة «الظلم» والقائلين بتخصيصها، كما يصل إلى أن حمل هذه اللفظة على عمومها أحسن من تخصيصها وكيف أن القائلين بتخصيصها قد تأثروا بالنزعة الحديثية السائدة في تفسير القرآن.

الكلمات المفتاحية: النزعة الحديثية، تفسير القرآن، الظلم، الشرك، سورة الأنعام

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

في مجال تعامل القرآن والسنة والاهتمام بهما، تكونت اتجاهات خمسة على مدى التاريخ الإسلامي:

١. الاكتفاء بالقرآن؛ ٢. النزعة القرآنية؛ ٣. التساوي بين القرآن والحديث في الاعتبار؛

٤. النزعة الحديثية؛ ٥. الاكتفاء بالحديث.

وبما أن دراسة تلك الاتجاهات تتطلب مجالاً آخر مستقلاً، فهذا البحث لا يتطرق إلا إلى النزعة الحديثية منها، وذلك في أحد أشكالها فقط، وهو دراسة تأثير هذه النزعة الحديثية على فهم القرآن وتفسيره من خلال تسليط الضوء على واحد من أبرز الشواهد القرآنية وأشهرها.

النزعة الحديثية^(١) ظاهرة تركت بعض الأحيان أثراً واضحاً على فهم القرآن. فيغض النظر عن المباحث النظرية المتعلقة بذلك، هنالك أمثلة وشواهد تدل فعلاً على تأثير هذه النزعة الحديثية على فهم القرآن وتفسيره. ويتم هذا التأثير عموماً بطريقتين: مباشرة وغير مباشرة. ففي الطريقة المباشرة هناك روايات حديثية تفسر بعض المصطلحات القرآنية بشكل يستلزم قبولها وإن كان مخالفاً لما يفيد ظاهر النص القرآني، وبعبارة أخرى فإن فهماً من النص القرآني يتكون أو يترجح على ضوء الأحاديث، يُعدُّ فهماً ذا نزعة حديثية من النوع المباشر.

وأما في النزعة الحديثية غير المباشرة، فإن الروايات لا تتدخل في تفسير المصطلح القرآني أو الآية القرآنية بشكل صريح كما يتم في الطريقة المباشرة، بل التأثير يتوقف

(١) المراد من «النزعة الحديثية» في هذا المقال، هو تفضيل أي اقتضاء حديثي على الاقتضاء القرآني.

على توافر شروط ثلاثة، وهي:

١. استعمال مصطلح مشترك في كلا الخطابين: القرآني والحديثي، كمصطلحي «الشهيد» و«الظلم»؛

٢. وجود اختلاف واضح بين المعنيين القرآني والحديثي للمصطلح؛

٣. ترجيح المعنى المعتبر للمصطلح في الخطاب الحديثي على المعنى المعتبر في الخطاب القرآني.

فعندما تتحقق هذه الشروط يمكن القول بأن المعنى الحديثي للمصطلح قد أثر بشكل غير مباشر على فهم المفسرين والعلماء وعامة المسلمين من نفس المصطلح في سياقه القرآني.

وفي حين ندعن بوجود توخي الحذر وبذل غاية الدقة العلمية عند استخراج النماذج القرآنية المتأثرة بالنزعة الحديثية بكلا شكلها، نرى أن من أبرز النماذج في هذا المجال لفظي «الظلم» المفسر بـ«الشرك» في آية ٨٢ من سورة الأنعام و«الشهيد» المفسر بـ«المقتول في سبيل الله» عند المفسرين الأثريين. وهما مصطلحان قرآنيان توقف فهمهما بمدلوليهما في الخطاب الحديثي، في حال أنهما لا يفيدان تلك المعاني المستفادة من الخطاب الحديثي إلا بشق الأنفس. نرى أن تأثير النزعة الحديثية في فهم لفظ «الظلم» وتفسيره بالشرك عند المفسرين، هو تأثير من النوع المباشر بينما نفس التأثير في فهم لفظ «الشهيد» بمعنى المقتول في سبيل الله، هو تأثير من النوع غير المباشر، ويكتفي هذا البحث بدراسة المصطلح الأول دون الثاني.^(١)

(١) تمت دراسة مصطلح «الشهيد» في مقال مستقل للمؤلفين.

رؤية المفسرين في تفسير «الظلم» في سورة الأنعام

ثمة رؤيتان رئيسيتان عند المفسرين في تفسير كلمة «الظلم»^(١) في الآية المباركة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْآمَنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢) وهما كالتالي:

(أ) الرؤية الأولى: تخصيص معنى «الظلم» بالشرك:

قام أغلب المفسرين بتفسير لفظ «الظلم» العام في الآية بمعنى خاص، وهو الشرك^(٢) وقد يفسر نفس اللفظة بمدلول أخص من الشرك وهو «عبادة الأوثان» وب«الكفر» في

(١) الظلم في اللغة، «وضع الشيء في غير موضعه» (محمد بن مكرم ابن منظور (توفي ٧١١ هـ / ٣١١ م)، لسان العرب، تذييل النيازجي و آخرون، بيروت: دارصادر، ٤١٤ ق (٣ط)، ج ١٢، ص ٣٧٣؛ على بن اسماعيل ابن سيده (توفي ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبدالحميد الهنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م، ج ١٠: ص ٢٨؛ محمد بن محمد الزبيدي (توفي ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المحققين، دار الهداية، بي. تا. ج ٣٣: ص ٢٣.

وَأَصْلُ الظُّلْمِ الجَوْرُ وَمُجَاوِزَةُ الحُدِّ (ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢: ص ٣٧٣؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ٣٣: ص ٣٢). يقول الراغب: «والظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير، وفي الذنب الصغير، ولذلك قيل لأدم في تعديه ظالم، وفي إبليس ظالم، وإن كان بين الظلمين بون بعيد» (حسين بن محمد الراغب (الإصفيهاني) (توفي ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دمشق/بيروت، دار القلم/دار الشامية، ٤١٢ ق، ص ٣٠٦).

(٢) محمد بن جرير الطبري (توفي ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م)، جامع البيان في تاويل القرآن، تحقيق احمد محمد الشاكر، الرسالة، ٢٠٠٠ م، ج ١١: ص ٤٩٢٥٠٣؛ محمد بن عمر فخر الرازي (توفي ٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م)، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٤٢٠ ق (٣ط)، ج ١٣: ص ٤٩؛ اسماعيل بن عمر ابن كثير (توفي ٧٧٤ هـ / ٣٧٣ م)، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٤١٩ ق، ج ٣: ص ٢٦٣؛ محمد بن علي الشوكاني (توفي ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م)، فتح القدير، دمشق/بيروت، دار ابن كثير/ دار الكلم الطيب، ٤١٤ ق، ج ٢: ص ١٥٤؛ محمد بن احمد القرطبي (توفي ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، هشام سمير البخاري، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م، ج ٧: ص ٣؛ ابراهيم بن عمر البقاعي (توفي ٨٨٥ هـ / ٤٨٠ م)، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، القاهرة، دار الكتاب الاسلامي، بلاتا، ج ٧: ص ١٦٧؛ رشيد رضا (توفي ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ج ٧: ص ٤٨٥.

روايات قليلة أخرى.^(١)

وهذه الرؤية كما أشرنا هي الأصل والأعمّ عند جمهور المفسرين.

ب) الرؤية الثانية: إبقاء «الظلم» على معناه العام: أصحاب هذه الرؤية من المفسرين يحملون «الظلم» على معناه العام^(٢) أو على «الكبائر»^(٣) أو على الخطايا المؤدية للفسق.^(٤) يتبنى مفسرو المعتزلة عموماً هذه الرؤية حيث حمل الجبائي والبلخي وغيرهما «الظلم» في الآية على جميع الكبائر التي تحبط الثواب.^(٥)

وأما بقية المفسرين من غير المعتزلة، فإما أنهم لم يتكلموا أساساً عن هذه الرؤية بصفتها رؤية معتبرة في تفسير الآية،^(٦) وإما خالفوها وقاموا بالرد عليها رداً صريحاً^(٧) وإما ضعّفوا انتسابها إلى أفراد الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم من أعلام الدين.^(٨)

تخصيص «الظلم» بالشرك في سورة الأنعام

فسر أكثر المفسرين كما أشرنا لفظ «الظلم» بالشرك في الآية المباركة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢).^(٩) وذلك بناءً على روايات وآثار نقلت من

(١) الطبري، جامع البيان، ج ١١: ص ٤٩٣، ٥٠١ و ٥٠٢.

(٢) محمود بن عمرو الزمخشري (توفي ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م)، الكشاف، بيروت، دار الكتاب العربي، ٤٠٧ ق (٣)، ج ٢: ص ٤٣.

(٣) الطبري، جامع البيان، ج ١١: ص ٥٠٢.

(٤) محمود بن أحمد العيني (توفي ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج ١: ص ٢١٦.

(٥) فخر الراي، مفاتيح الغيب، ج ١٣: ص ٤٩.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣: ص ٢٦٣. ٢٦٥: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧: ص ٣٠.

(٧) فخر الراي، مفاتيح الغيب، ج ١٣: ص ٤٩؛ ابوحيان محمد بن يوسف (توفي ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ٤٢٠ ق، ج ٤: ص ٥٧١.

(٨) الطبري، جامع البيان، ج ١١: ص ٤٩٢؛ العيني، عمدة القاري، ج ١: ص ٢١٦.

(٩) الطبري، جامع البيان، ج ١١: ص ٤٩٢٥٠٣؛ فخر الراي، مفاتيح الغيب، ج ١٣: ص ٤٩؛ ابن

النبي ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم والتابعين دالة على أن الصحابة رضي الله عنهم عندما سمعوا الآية لأول مرة، خافوا وانتابهم شعور قوي بالقلق إذ قالوا إن يكن المراد من «الظلم» في هذه الآية مطلق الذنب والعصيان، فليس يبرؤ منه أحدٌ منا.^(١) وعندما رأى النبي ﷺ ذلك منهم أوضح أن عبارة «لم يلبسوا إيمانهم بظلم» جاءت بمعنى «لم يخلطوا إيمانهم بشرك»^(٢)

يبني العديد من المحدثين والمفسرين تفسيرهم للآية على حديث نورده هنا بلفظه وهو: «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ (بن مسعود) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ بِشِرْكَ، أَوْلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ ﴿يَبْنَىٰ لَا شَرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)»^(٣) وفي رواية الإمام أحمد إشارة أوضح إلى حال الصحابة رضي الله عنهم حيث بدأت بصفة حالهم قائلاً: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ شَقَّ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... إلخ.»^(٤)

والطبري يصرِّح باختلاف أهل التأويل في المعنى الذي قصده الله تعالى من لفظ «الظلم» في قوله: «ولم يلبسوا إيمانهم بظلم». موضحاً: فأولُه (أي فسره) بعضهم بـ«الشرك».^(٥)

كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣: ص ٢٦٣؛ الشوكاني، فتح القدير، ج ٢: ص ١٥٤؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧: ص ٣٠؛ البقاعي، نظم الدرر، ج ٧: ص ١٦٧؛ رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٧: ص ٤٨٥.

(١) الطبري، جامع البيان، ج ١١: ص ٤٩٣

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ج ٢: ص ١٥٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ١: ص ٤٦٩.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى «وَأَتخذ الله إبراهيم خليلاً»، رقم الحديث (٣٣٦٠)؛ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام، رقم الحديث (٣٠٦٧)؛ أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، رقم الحديث (٣٥٨٩) و رقم (٤٠٣١)؛ العيني، عمدة القاري، ج ١: ص ٢١٦؛ ج ١٥: ص ٢٥١؛ الطبري، جامع البيان، ج ١١: ص ٤٩٤-٥٠٣؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣: ص ٢٦٣؛ الشوكاني، فتح القدير، ج ٢: ص ١٥٤؛ رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٧: ص ٤٨٥

(٤) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، رقم الحديث (٣٥٨٩)؛ راجع أيضاً: الطبري، جامع البيان، ج ١١: ص ٤٩٤-٤٩٦؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣: ص ٢٦٣.

(٥) الطبري، جامع البيان، ج ١١: ص ٤٩٤-٥٠٢.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم، وذلك: فعل ما نهى الله عن فعله، أو ترك ما أمر الله بفعله، وقالوا: الآية على العموم، لأن الله لم يخصَّ به معنى من معاني الظلم.^(١)

ينسب الطبري القول الثاني إلى جماعة من السلف دون أن يصرح بأسمائهم أو أسانيدهم^(٢) ولكن في تأييد القول الأول يذكر ٣٨ حديثاً وأثراً فسّر الظلم في واحد منها بالكفر، وفي أربعة أخرى بعبادة الأصنام، وفي ٣٣ منها بالشرك.^(٣)

وروي تفسير الظلم بالشرك عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم كأبي بكر الصديق، وعمر، وأبي بن كعب، وسلمان، وحذيفة، وابن عمر، وعمرو بن شريحيل، وابن عباس، وأبي عبد الرحمن السلمي، ومجاهد، وعكرمة والنخعي، والضحاك، وقتادة، والسدي رضي الله عنهم^(٤) وبالنظر إلى وجود الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير «الظلم» بـ «الشرك» في هذه الآية، لا يوجد بين الصحابة رضي الله عنهم والتابعين من يخالف هذا التفسير.^(٥)

أدلة تخصيص الظلم بالشرك في السورة وقرائنه

لم يكتف مؤيدو التخصيص هذا بقبول التفسير الأثري المذكور الدال على حمل الظلم على الشرك في سورة الأنعام، بل قاموا بإقامة أدلة وقرائن جديدة مفصلة تدعم هذا التفسير الأثري وترد أدلة المعارضين ومن أبرز تلك الدلائل والقرائن:

١. الاستناد إلى سياق الآيات السابقة: إذ تتمحور الآيات السابقة حول موضوع

(١) الطبري، جامع البيان، ج ١١: ص ٥٠٢.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج ١١: ص ٤٩٢؛ العيني، عمدة القاري، ج ١: ص ٢١٦.

(٣) الطبري، جامع البيان، ج ١١: ص ٤٩٢؛ رقم الحديث (١٣٤٧٣١٣٥١٠).

(٤) عبدالرحمن بن محمد ابن أبي الحاتم (توفي ٣٢٧ هـ/٩٣٨ م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ٤١٩ ق، الطبعة الثالثة، ج ٤: ص ١٣٣٣؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣: ص ٢٦٣؛ جمال الدين بن محمد القاسمي (توفي ١٣٣٢ هـ/١٩١٤ م)، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ٤١٨ ق، ج ٤: ص ٤١٣.

(٥) القاسمي، محاسن التأويل، ج ٤: ص ٤١٣.

تقابل الشرك والإيمان وَأَنَّ الْقِصَّةَ مِنْ أَوْلَهَا إِلَى آخِرِهَا إِنَّمَا وَرَدَتْ فِي نَفْيِ الشُّرَكَاءِ وَالْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ، وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ، فَوَجَبَ حَمْلُ الظلمِ - هاهنا - عَلَى ذَلِكَ^(١) (أي على الشرك).

٢- تأييد هذا التفسير عن طريق تفسير القرآن بالقرآن: يستند المفسرون كثيرا في تفسير الظلم بالشرك إلى الآية ١٣ من سورة لقمان: ﴿إِنَّكَ أَلْشَّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ويقولون: إن التَّنَوِينِ فِي بَظْمٍ لِلتَّعْظِيمِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لم يلبسوا إيمانهم بظلم عظيم، فلما تبين أن الشُّرَكَ ظلم عظيم، علم أن المراد هو: لم يلبسوا إيمانهم بشرك.^(٢)

٣- الإشارة إلى خطورة الشرك في الخطاب القرآني: يعتقد المفسرون - كباقي المسلمين - أن الشرك هو الذنب الوحيد الذي لا يغفره الله تعالى في حال عدم التوبة وأما غير الشرك فيمكن أن يغتفر حتى بدون التوبة؛ مما يعني أنه لا يسلب الأمن والهداية ذنب إلا الشرك. يقول ابن حجر: إِنَّ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا فَلَهُ الْأَمْنُ وَهُوَ مُهْتَدٍ^(٣) والقرآن يعد الشرك ظلما وبالعكس، كما يعد الظلم ضلالا.

٤- التذكير بمكانة النبي ﷺ التفسيرية: إن النبي ﷺ - بناءً على آيات عديدة بما فيها آية التبيين^(٤) - مفسر القرآن ومُبيِّنُهُ. وهو نفسه أوضح مبينا أن المراد من لفظ الظلم المجمل في هذه الآية هو أبرز انطباقاته وهو الشرك ويجب قبول تفسيره (ولو كان مخالفا لظاهر الآيات) وَأَنَّ الْخَاصَّ يَقْضِي عَلَى الْعَامِ وَالْمُبِينِ عَلَى الْمُجْمَلِ وَأَنَّ اللَّفْظَ يُحْمَلُ عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهِ لِمَصْلَحَةِ دَفْعِ التَّعَارُضِ^(٥) قَدْ فَسَّرَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِالشُّرْكَ

(١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٣: ص ٤٩؛ البقاعي، نظم الدرر، ج ٧: ص ١٦٧؛ رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٧: ص ١٤٤.

(٢) العيني، عمدة القاري، ج ١: ص ٢١٦؛ البقاعي، نظم الدرر، ج ٧: ص ١٦٧؛ ابن حجر، احمد بن علي (توفي ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار المعرفة، ٣٧٩ ق، ج ١: ص ٨٨.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج ١: ص ٨٩.

(٤) وهي جزء من آية ٤٤ في سورة النحل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج ١: ص ٨٨.

فَوَجَبَ قَبُولُهُ^(١) وقد فسره الصحابة رضي الله عنهم والتابعون بالشرك أيضاً.

٥- تبرير فهم الصحابة من الآية: يبرر الخطاب فهم الصحابة رضي الله عنهم من الآية بقوله: «كَانَ الشُّرْكَ عِنْدَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم أَكْبَرَ مِنْ أَنْ يُلْقَبَ بِالظُّلْمِ فَحَمَلُوا الظُّلْمَ فِي الْآيَةِ عَلَى مَا عَدَاهُ يَعْنِي مِنَ الْمَعَاصِي فَسَأَلُوا عَنْ ذَلِكَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ»^(٢) وأما ابن حجر نفسه فلا يقبل بتبرير الخطاب هذا ويرى أن فيه نظراً.^(٣)

٦- التخصيص ضرورة لدفع تكليف المؤمنين بما لا يطاق: من أقوال المفسرين أننا لو أبقينا الظلم على عموم معنى العصيان ليؤدي ذلك إلى التكليف بما لا يطاق لأنك لا تجد أحداً لم يرتكب معصية وهو غير جائز إلا إذا خصصنا الموصول العام في صدر الآية (الذين) بإبراهيم عليه السلام أو المهاجرين.^(٤)

٧- احتمال عدم ثبوت هذا القول لدى المعارضين: فلربما لم يثبت الخبر الوارد عن النبي ﷺ عند القائلين بتعميم معنى الظلم.^(٥)

تفسير الظلم بالشرك في ميزان النقد

على الرغم من إصرار العديد من المفسرين على تفسير الظلم بالشرك في الآية ٨٢ من سورة الأنعام، هنالك إشكالات عدة لتخصيص معنى الظلم بالشرك في الآية تتعلق جميعها بالاهتمام المفرط بالأحاديث والآثار المروية في هذا الشأن وأي تجاهل حصل تجاه هذه الإشكالات إنما حصل نتيجة هذا الإفراط. ويبدو لهذا البحث أن المسألة هذه إن دلت على شيء فإنما تدل على وجود النزعة الحديثية في الدراسات القرآنية بشكل عام. وفيما يلي نورد المحاور الأساسية التي تشتمل على أهم الإشكالات التي تواجه

(١) ابوحيان، البحر المحيط، ج ٤: ص ٥٧١

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج ١: ص ٨٨.

(٣) نفس المصدر.

(٤) الطبري، جامع البيان، ج ١١: ص ٥٠٢٥٠٣.

(٥) ابوحيان، البحر المحيط، ج ٤: ص ٥٧١.

تفسير الظلم بالشرك:

المحور الأول: استعراض نقدي لنصوص الأحاديث والآثار المتعلقة بتفسير الظلم بالشرك

أورد العديد من المحدثين في كتبهم الأحاديث المتعلقة بتفسير الظلم بالشرك بأسانيدھا وأكدوا على صحتها؛ مما صرفهم - ولا يزال - عن النظر في محتوى نصوصها بجديّة. وهذا ما يجعلنا نقول: إن هذه النصوص - بغض النظر عن مدى صحة أسانيدھا - لا تخلو عن إشكالات خطيرة يمكن أن نصنفها في ستة محاور، وهي على النحو التالي:

١- مكانة النبي ﷺ التفسيرية، وجواز تخصيص الآية بالسنة: لا نزاع في حجية أقواله ﷺ مطلقاً، ولكن يجب - رغم ذلك - الانتباه إلى عدة أمور:

أولاً: إن الله تعالى هو المبين لآياته قبل النبي ﷺ^(١)، حيث يقول: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٢) ولهذا وصف القرآن آياته بالمبينات،^(٣) لذلك يجب أن لا يشغلنا الغور فيما ورد من تبيينات النبي ﷺ عن تبيينات القرآن نفسه، وأن نراعي قاعدة تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بقول الصحابي التي تعدّ قاعدة متفقاً عليها لدى المحققين من أهل التفسير.^(٤)

ثانياً: لاشك في أن تبيين النبي ﷺ هو فصل الخطاب كالقرآن^(٥) ولكن قد يكون اعتبار الحديث فصل الخطاب، دعوى بلا دليل مادام لم تثبت نسبته إلى النبي ﷺ. ثم إن ألفاظ الأحاديث لم تأمن من التبديل والتغيير كما أمن القرآن بألفاظه. إذن ليس للاعتماد على

(١) انظر: البقرة: ١١٨ و ٢٢٦؛ آل عمران: ١١٨؛ النور: ١٨ و ٦١ و ..

(٢) القيامة: ١٩.

(٣) انظر: النور: ٣٤ و ٤٦؛ الطلاق: ١١.

(٤) - انظر: ابن العثيمين، شرح (مقدمة التفسير) لابن تيمية، ١٢٧.

(٥) و النزاع في معنى تبيين النبي ﷺ للقرآن دائر بين العلماء (انظر: رحيم خاكبور؛ مجيد معارف، وازة شناسي تبيين در قرآن و نقد نظريه ناممكن بودن تفسير بدون روايات) (التبيين في القرآن و ..)، مجلة «تحقيقات علوم قرآن و حديث»، طهران، جامعة الزهراء، العدد (١٦)، ١٣٩٠ هـ ش، صفحة ٨٥١١٤.

(٦) انظر: النساء: ٥٩، ٦٥ و ٨٠؛ الأحزاب: ٣٦؛ الحشر: ٧ و ...

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على حد سواء دليل سوى تبني النزعة الحديثية.

ثالثاً: حتى لو قلنا بثبوت ورود الحديث ودلالته على تفسير الظلم بالشرك، فإن القرآن بناءً على أدلة سيأتي ذكرها، يدل بذاته دلالة ظاهرة على عمومية الظلم ولا يدل على تخصيصه بالشرك إلا بواسطة السنة. « وَمَا وَقَعَ التَّعَارُضُ كَانَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ ابْتِدَاءً أَوْلَى بِالرَّعَايَةِ مِنَ الْحُكْمِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِوَسِطَةِ شَيْءٍ آخَرَ. ^(١)»

رابعاً: إن الآية بصدد بيان العقيدة، وليس تشريع الأحكام العملية. فالقرآن الذي أنزل بلسان عربي مبين، ^(٢) ليكون نوراً وهدى، ^(٣) وتبيناً لكل شيء ^(٤) وفرقانا ^(٥) هذا القرآن كيف يكون هادياً حق هداية إذا كان في مقام تأسيس العقيدة - أيضاً - ، بحاجة إلى تخصيص وتقييد وتبيين من قبل الأحاديث تماماً كحاجته إليها في تشريع الأحكام العملية؟ ^(٦)

٢- فهم الصحابة الابتدائي عن الظلم في الآية: إن مضمون الأحاديث الواردة المتعلقة بتفسير الظلم بالشرك يقتضي انتساب ما لا يليق إلى الصحابة الكرام رضي الله عنهم من وجهين:

الأول) القول: بهذا الرأي معناه أن الصحابة رضي الله عنهم الكرام أهملوا الشواهد والقرائن.

وبيان ذلك أن القرآن فرق بين اللمم (في: النجم: ٣٢) وبين لبس الإيمان بالظلم (في: الأنعام: ٨٢). ومفهوم لبس الإيمان بالظلم قد سمي في مواضع أخرى من القرآن

(١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٤: ص ١٩٧.

(٢) انظر: الشعراء: ١٩٥؛ النحل: ١٠٣؛ يوسف: ٢؛ الزخرف: ٣؛ فصلت: ٣؛ زمر: ٢٨.

(٣) انظر: النساء: ١٧٤؛ المائدة: ١٥؛ الشوري: ٥٢.

(٤) انظر: البقرة: ٢ و ١٨٥؛ الأعراف: ٥٢.

(٥) انظر: النحل: ٨٩.

(٦) انظر: آل عمران: ٤؛ فرقان: ١، و للتفصيل أنظر: خاكبور، وازة شناسي تبين در قرآن و نقد نظريه ناممكن بودن تفسير بدون روايات» (التبيين في القرآن و ..)، ٩٢٩٨.

(٧) للتفصيل، راجع: خاكبور، وازة شناسي تبين در قرآن و نقد نظريه ناممكن بودن تفسير بدون روايات» (التبيين في القرآن و ..)، ٩٧.

بعبارات مماثلة، نحو «الإصرار على الحنث، أو الفاحشة» (آل عمران: ١٣٥ وواقعه: ٤٦)، و«حمل الظلم» (طه: ١١١) و«إحاطة الخطيئة» (البقرة: ٨١). إن القرآن في قبول التوبة يميز بين الذين ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَقُولُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ (النساء: ١٧) وبين الذين ﴿يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ (النساء: ١٨) حيث يبين أن الله تعالى يقبل التوبة عن الطائفة الأولى دون الثانية.

الثاني ويقتضي هذا القول -أيضا- الاعتقاد بأن الصحابة رضي الله عنهم لم ينتبهوا إلى مفهوم التوبة، إذ لو افترضنا أن الصحابة رضي الله عنهم فهموا من الآية المباركة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢) أن كل ذنب يقترفه المؤمن ولو لم يصر عليه يسلب منه الأمن والهداية، فهذا يعني أنهم جهلوا بأن التوبة تمحو الذنوب، فكأنهم لم يقرؤوا ما نزل في القرآن ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١١٠) أو كأنهم لم يسمعوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم عندما جمع الناس وقال لهم: «يا أيها الناس! توبوا إلى الله، فإنِّي أتوبُ إلى الله في روايات أخرى: لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»^(١).

٣- القول بعموم الظلم في الآية عند السلف موجود ولا ينكر: يصرح الطبري بأن جماعة من السلف قالوا بعموم الظلم في هذه الآية،^(٢) فلا يصح إنكار انتساب هذا الرأي إلى السلف مطلقاً كما فعل بعض المفسرين.^(٣)

٤- عدم انسجام مضمون الروايات مع مدلول الآية: إن عبارة «أينا لم يظلم نفسه» الواردة في الحديث تتناسق مع تعابير أخرى من القرآن أكثر من تناسقها مع الآية ٨٢ من سورة الأنعام، ومن جملة تلك التعابير: ﴿ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة: ٢٣١؛ الطلاق: ١)، و﴿يَظْلِمُ نَفْسَهُ﴾ (النساء: ١١٠)، و﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ (القصص: ١٦)، و﴿ظَلَمُوا﴾

(١) أحمد بن شعيب النسائي (توفي ٣٠٣ هـ/ ٩١٥ م)، عمل اليوم والليلة، تحقيق فاروق حمادة، بيروت، الرسالة، ٤٠٦ (ط ٢)، ج ١: ص ٣٢٣٢٧، رقم الحديث (٤٣١ ٤٤٧).

(٢) الطبري، جامع البيان، ج ١١: ص ٤٩٢،

(٣) القاسمي، محاسن التأويل، ج ٤: ص ٤١٣.

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ (آل عمران: ١١٧، ١٣٥؛ النساء: ٦٤؛ هود: ١٠١؛ إبراهيم: ٤٥؛ سبأ: ١٩)،
 و﴿أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة: ٥٧؛ يونس: ٤٤؛ النحل: ٣٣، ١١٨؛ العنكبوت: ٤٠؛
 الروم: ٩) و﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (النساء: ٩٧؛ النحل: ٢٨) فكأن السؤال الوارد في
 الحديث عن مراد هذه الآيات، وليس عن معنى الظلم في الآية ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا
 إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢).

المحور الثاني: خلط المفهوم بالمصداق في تخصيص الظلم

١- البناء النحوي للآية يعارض تخصيص لفظ «الظلم» فيها: لفظة «الظلم» في الآية
 جاءت بصيغة النكرة التي تدل على العموم فتفيد هنا جميع مصدايق الظلم، ^(١) «وَلَذَلِكَ
 فَهَمَّ بَعْضُ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْهُ الْعُمُومَ الْمَطْلُوقَ وَهُمْ مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ» ^(٢)

٢- ضرورة التمييز بين المفهوم والمصداق: يجب علينا دائماً أن نميز بين معنى اللفظ
 وبين مصداقه. فحمل معنى الظلم على الشرك في هذا التفسير - ولو قلنا بقبوله - هو
 من باب ذكر المصداق وليس المعنى والمدلول وأما ما أشير إليه في قوله صلى الله عليه
 وآله: (إنما هو الشرك) فليس بصريح في أن الشرك هو مفهوم الظلم في الآية، وإنما قد
 ذكر كمصداق له.

٣- لا ينحصر المصداق الأتم للظلم في الشرك فحسب: لأن الشرك ليس هو المصداق
 الأتم الوحيد للظلم، فثمة مظاهر أخرى في القرآن الكريم كالكفر (البقرة: ٦ و ١٦١؛ آل
 عمران: ٨٦، ٨٧ و ٩٠، ٩١؛ النساء: ٥٦ و ٦٨) والنفاق (النساء: ١٣٨، ١٤٠ و ١٤٥؛
 التوبة: ٦٨؛ الفتح: ٦؛ الأحزاب: ٧٣) لم ينكرها الله تعالى بأقل من إنكاره للشرك.
 وربما للتفطن بهذه الحقيقة القرآنية قال بعض الحكماء: إن أعظم الظلم بين الإنسان

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ١: ص ٨٨؛ العيني، عمدة القاري، ج ١: ص ٢١٦،
 (٢) رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٧: ص ٤٨٥؛ العيني، عمدة القاري، ج ١: ص ٢١٦؛ ابن حجر، فتح
 الباري، ج ١: ص ٨٨.

وبين الله تعالى، يتمثل في الكفر والشرك والنفاق.^(١)

المحور الثالث: عدم الانتباه لمدلول اللبس عند تخصيص الظلم في الآية

١- تمييز المفسرين بين بابي مادة «اللبس»: يبدو أن المفسرين عندما خصّصوا «الظلم» بالشرك في سورة الأنعام، لم ينتبهوا لدور لفظة «اللبس» المهم في تبين معنى «الظلم»: فعموم المفسرين قد فسروا اللبس في الآية بخلط الظلم بالإيمان.^(٢) إن الأخذ بهذا المعنى للكلمة ناتج من التمييز بين صيغتين مختلفتين لهذه المادة، وهما: «لبس يلبس لبساً ولباساً» في لبس الثوب^(٣) و«لبس يلبس لبساً ولبساً» بمعنى اشتبه عليه الأمر^(٤) وذلك حين يختلط الأمر بعضه ببعض^(٥) وبما أن الصيغة المستعملة في الآية هي «لم يلبسوا» (بكسر الباء) من مادة «اللبس» فيفيد معنى الخلط بين الظلم والإيمان.

٢- المدلول الأساس لمادة «اللبس» وضرورة الاهتمام به: إن مادة اللبس كغيرها من المواد اللغوية مدلولاً أساسياً يلقي بظلاله على جميع مشتقات تلك المادة. وقد بين عدد من اللغويين أن المدلول الأساس لمادة اللبس هو الستر، مصرّحين بأن أصل اللبس ستر الشيء^(٦)، ويستشهد الراغب بأيات عدة بما فيها: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢) مما يدل على أن الراغب يفسر اللبس في الآية بالستر.^(٧)

(١) الراغب، المفردات، ص ٣٠٦.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج ١١: ص ٤٩٢.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ٦: ص ٢٠٢؛ أحمد ابن فارس (توفي ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩ م، ج ٥: ص ٢٣٠؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ١٦: ص ٤٦٦؛ ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٨: ص ٥١٠؛ الراغب، المفردات، ص ٤٠١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ٦: ص ٢٠٤؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥: ص ٢٣٠؛

الزبيدي، تاج العروس، ج ١٦: ص ٤٦٨؛ ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٨: ص ٥١١.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ٦: ص ٢٠٤؛ محمد بن أحمد الأزهرى (توفي ٣٧٠ هـ / ٩٨١ م)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١ م، ج ١٢: ص ٣٠٧؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ١٦: ص ٤٦٦.

(٦) الراغب، المفردات، ص ٣٤٠؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥: ص ٢٣٠.

(٧) الراغب، المفردات، ص ٤٠٣.

وقد نقل هذا المعنى عدد من المفسرين أيضاً ، وقالوا: به كرشيد رضا الذي يصرح قائلًا: «لبس الشيء بالشيء: تغطيته به وإحاطته من جميع جهاته»^(١) ولكن هناك من سلك مسلكاً آخر وفسر اللبس في الآية بالخلط.^(٢)

٣- ضرورة الاهتمام بالعلاقة المدلولية بين بابي «لبس»: حتى ولو لم يتم الرجوع إلى المدلول الأساس لمادة «لبس» (وهو الستر) وتم الاكتفاء بتلقي معنى الخلط منها فهذا الخلط يجب لغةً أن يكون من النوع الذي يسبب في الالتباس والاشتباه لأن ارتكاب السيئات لا يُدعي لبساً إلا إذا أدّى إلى الالتباس بين الكفر والإيمان. بناءً على ذلك لا يسمى كل لم لبساً بمعنى الخلط؛ حتى لا يتكون تصور خاطئ بأن الصحابة رضي الله عنهم قد فهموا من الآية ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢) أن أدني لم يكون بمثابة خلط الإيمان بالظلم.

القرآن يشير إلى هذا المعنى في آية أخرى بوضوح أكثر قائلًا: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنْهُمُ أَلْحَقٌّ وَانْتُمْ تَعْمُونَ﴾ (آل عمران: ٧١ والبقرة: ٤٢) فهنا «لبس الحق أو خلطه بالباطل» يلزم «كتمان الحق» إذ «من لبس الحق بالباطل فغطاه به، فغلط به، لزم أن يكتم الحق الذي يبين أن هذا باطل»^(٣) وقول صاحب اللسان قد يؤيد هذا التحليل اللغوي: «لبس عليه الأمر يلبسه لبساً فالتبس إذا خلطه عليه حتى لا يعرف جهته»^(٤) وللأزهري إضافة «لبست الأمر... إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلاً» (نفس المصدر). كما يشير بعض المفسرين إلى هذه النقطة قائلًا: «اللبس: الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين»^(٥).

(١) رشيد رضا، تفسير المنار، ج٧: ص ١٤٤

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ج٢: ص ١١٦؛ عبدالله بن عمر البيضاوي (توفي ٦٩١ هـ/ ١٢٩٢ م)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبدالرحمن مرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ ق، ج٢: ص ١٥٥؛ البقاعي، نظم الدرر، ج٧: ص ٢٧.

(٣) القاسمي، محاسن التأويل، ج٣: ص ٣٣٤.

(٤) ابن منظور، لسان العرب. ج٦: ص ٢٠٤؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٢: ص ٣٠٧.

(٥) القاسمي، محاسن التأويل، ج١: ص ٣٠٠.

٤. الاستعمال المتداول للباس في اللغة العربية ومدلوله: يقول الخليل: «اللباس ما وارتيت به جسدك»^(١) ويقول صاحب اللسان في عبارة مشابهة: «ولباس كل شيء غشاؤه»^(٢) كما قيل: «الْبَسْتُ الارضُ: غَطَّاهَا النَبْتُ»^(٣) و«الْبَسَ السَّمَاءَ السَّحَابُ إِذَا غَطَّاهَا»^(٤) ولا يعبر عن الجوع باللباس إلا إذا بلغ الحال التي لا غاية بعدها.^(٥) وقد استعمل في سورة الأنعام نفس هذا التعبير اللطيف والتصوير الدقيق في خصوص لبس الإيمان للظلم؛ حيث شُبِّهَ الإيمان بشخص والظلم - أي ظلم كان - بلباس يغطي شخص الإيمان حال تكراره واستمراره.

٥. مصطلحات مترادفة أخرى للباس الإيمان في القرآن: لقد عبّر عن مفهوم لبس الإيمان بلباس الظلم في القرآن بتعابير أخرى نحو «حمل الظلم» و«إحاطة الخطيئة» ففي سورة طه يقول الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (طه: ١١١). مما يدل على أن حمل الظلم يختلف عن ارتكابه فمفهوم الحمل يبادر إلى الذهن أن الشخص الحامل للظلم لا يريد أن يتوب عن الذنب بعد ارتكابه بل يحمله معه ويواصل حمله دون أن يقصد تركه، فيبقي مصراً على ذنبه، كما جاء في القرآن: ﴿وَكَاذِبُونَ عَلَى الْخَنَثِ الْأَعِظِيمِ﴾ (الواقعة: ٤٦) أو: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ﴾ (النساء: ١٨). وفي سورة البقرة نشاهد نفس المفهوم متجلياً في عبارة «إحاطة الخطيئة» في قوله تعالى: ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٨١).

(١) ابو عبدالرحمن بن احمد الخليل، (فراهيدي) (توفي ١٧٠ هـ/٧٨٦م)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي؛ ابراهيم السامرائي، دار و مكتبة الهلال، بلا تا، ج٧: ص ٢٦٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب. ج٦: ص ٢٠٢

(٣) ابن منظور، لسان العرب. ج٦: ص ٢٠٢

(٤) ابن منظور، لسان العرب. ج٦: ص ٢٠٢؛ الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٢: ص ٣٠٧؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ١٦: ص ٤٧٠.

(٥) الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٢: ص ٣٠٨؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ١٦: ص ٤٦٨.

بناءً على ما تقدم، يمكن القول: بأن الظلم مسواء أكان شركاً أو دون شرك إذا بلغ حداً غطى الإيمان تغطية اللباس للجسد، أو اختلط به اختلاطاً يمتنع معه التشخيص كما في سورة الأنعام الآية ٨٢، حيث ورد ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أو حُمل دون تركه كما في سورة طه الآية ١١١ حيث جاء: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أو أحاط بالإيمان كما في سورة البقرة الآية ٨١، حيث يقول: ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، فإن هذا الظلم سيمحو أثر الإيمان وبالتالي سيسلب الشخص أمنه وهداه.

٦- استعمال اللباس في القرآن لأُمور أخرى: القرآن قد استعمل «اللباس» في مواضع عدة، فتارة أضافه إلى التقوي: ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: ٢٦)، وإلى الجوع والخوف تارة أخرى ﴿فَإِذْ قَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ (النحل: ١١٢) كما خاطب الرجال في نسائهم بأن: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ﴾ (البقرة: ١٨٧). وأما في سورة الأنعام فقد استعمل فعل المادة ليقول: بأن «لبس الإيمان بالظلم» يؤدي بالضرورة إلى انعدام الأمن والهداية. ومما يجب الالتفات إليه: أن الظلم في سورة الأنعام ليس ساتراً فحسب، بل إنه قد يختلط بالإيمان بمقتضى باب «لبس».

٧- عبارة «لم يلبسوا» قرينة واضحة في تأييد القول بعموم الظلم: وأخيراً يمكن القول: إن عبارة «لم يلبسوا» المستعملة بمعنى عدم الإلباس أو عدم الاختلاط الشديد قرينة تؤيد عموم مفهوم الظلم. إذ أن تكرار أيِّ مصداق من مصاديق الظلم واختلاطه بالإيمان اختلاطاً تاماً يسبب اختفاء الإيمان واستحالة؛ كما إذا مزجنا ماءً بسحيق فاكهة في كوب فتغيّر لونه وطعمه وكذلك اسمه، فلا نسميه منذ اللحظة ماءً؛ لأنه أصبح عصيراً، وذلك لفرط اختلاط الماء بالسحيق. فعندئذ لا يتعارض معنى الآية مع عموم الظلم حتى نضطر إلى التأويل في الآية، بل معنى الآية أوفق مع عموم الظلم. إذ أن مقتضى الستر أو الخلط الشديد هو التكرار، وقد نعلم أن كل ظلم شركا كان أو سحراً أو عقوق الوالدين، أو كذباً أو شهادة زور، أو كتمان شهادة أو يأساً من رحمة الله أو قتلاً، أو زناً أو قذفاً أو أكل مال يتيم أو ربا أو شرب خمر وغيرها من الكبائر في حال

تكراره واستمراره يساوي الكفر في كتاب الله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: ١٨)

المحور الرابع: تفسير القرآن بالقرآن يعارض تخصيص معنى الظلم بالشرك

١- عفو الذنوب منوط بالتوبة وعدم الإصرار على الخطيئة: فإن إمكان غفران
الذنوب غير الشرك حتى مع عدم التوبة لا يعني أن عفو غير المشرك أمر قطعي، إذ
أن العفو لا يتحقق إلا إذا كان ارتكاب المعاصي والسيئات بجهالة ومن دون الإصرار
عليها: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾
(النساء: ١٧؛ آل عمران: ١٣٥). ثم إن الذنوب في بعض الأحيان لا تغفر حتى بالتوبة؛
فضلا عن عدم التوبة والإنابة: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ
إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ
أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: ١٨)^(١) هذه الآية لا تتحدث عن الشرك، بل تتحدث
عن عموم الذنوب والسيئات؛ مما يدل على أن عدم العفو لا ينحصر بالشرك بل يمكن
أن يشمل ما دون ذلك في ظروف خاصة. علاوة على ذلك إن الإصرار على الذنوب
قد يساوي لبس الإيمان بالظلم؛ مما يؤيد القول بعموم الظلم في سورة الأنعام دون
خصوصه.

٢- إنه لمن الصعوبة بمكان الادعاء بأن لفظ الظلم قد ورد في آيات أخرى من القرآن
الكريم مخصصاً بالشرك، ليكون قرينة دالة على تخصيص الظلم في سورة الأنعام.
بل على العكس تماماً، نشاهد أن هنالك أمثلة عديدة في القرآن استعمل فيها لفظ الظلم
غير دال على معنى الشرك، فالظلم في القرآن صارت له دلالات ومصاديق مختلفة:
فتارة سمي أكل مال اليتيم ظلماً (النساء: ١٠)؛ وتارة أكل أموال الناس بالباطل
(النساء: ٣٠)؛ وتارة إمساك النساء ضرراً. وأكثر من ذلك في القرآن آيات مشتملة على

(١) رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٤؛ ص ٣٦١؛ الشوكاني، فتح القدير، ج ١؛ ص ٥٠٥.

لفظ الظلم يمتنع حملة على الشرك بأي وجه وطريقة، وعلى سبيل المثال ولا الحصر يمكن الإشارة إلى آيات من سور الفرقان^(١) والمائدة^(٢) والنساء، يدلّ لفظ الظلم فيها بصراحة على معان كتكذيب: الحق والسرقعة وطلب رؤية الله جهرة.

٣. الشرك والإيمان لا يجتمعان: قد يكون حمل الظلم على غير الشرك في الآية أنسب من حملة على الشرك، إذ إن الإيمان يجتمع مع المعاصي الصغيرة والكبيرة غير الشرك^(٣) وبعبارة أخرى، لا يمكن للمؤمن أن يكون مشركاً في ذات الوقت ولا يطلق لفظ المؤمن على من غطى إيمانه أو خلطه بالشرك، كما يقول ابن حجر نقلاً عن التيمي: «خلط الإيمان بالشرك لا يتصور»^(٤). وبناءً على هذا يوجب حمل الظلم على الشرك في سورة الأنعام تناقضاً في دلالة الآية. وألا يخالف هذا القول: ما جاء في قوله تعالى حكاية عن المشركين: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» (يوسف: ١٠٦).

٤. العلاقة بين ظلم آدم (ع) والشرك: وتنقض تفسير الظلم بالشرك قصة آدم (ع) وزوجه حيث عبّر عن الأكل من الشجرة الممنوعة بـ«الظلم» ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ... فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ... قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ (الأعراف: ١٩: ٢٣) وفي سورة طه سُمي نفس العمل عصياناً: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى﴾ (طه: ١٢١) ولا يشك أحد في أن عموم المفسرين لا يسمون عصيان آدم (ع) هذا شركاً.

٥. آية «إن الشرك لظلم عظيم» لا تؤيد تفسير الظلم بالشرك: عبارة ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ في سورة لقمان لا تؤيد تفسير الظلم بالشرك في سورة الأنعام إذ قد عبّر عن الشرك في سورة لقمان بـ«ظلم عظيم» فلا يمكن اتخاذ هذه العبارة تأييداً لتفسير الظلم بالشرك في سورة الأنعام إلا إذا كانت عبارة الأنعام قد وردت على شكل

(١) ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣٨) فَمَنْ تَابَ مِنْ

بَعْدَ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨: ٣٩).

(٢) ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ (النساء: ٥٣: ١).

(٣) ابوحيان، البحر المحيط، ج ٤: ص ٥٧١.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج ١: ص ٨٨.

«... ولم يلبسوا إيمانهم بظلم عظيم». لذلك فلا استناد إلى سورة لقمان لا يؤيد ما ادعاه القائلون بتفسير الظلم بالشرك وحتى إذا سلّمنا بكون تنوين الظلم في سورة الأنعام مفيداً للتعظيم، لا يكون القول بترادف «ظلم» و«ظلم عظيم» في الآيتين المذكورتين قولاً مبنياً على استنباط صريح من القرآن إلا بتدخل التأويل.

المحور الخامس: السياق مؤيد للتعميم وليس للتخصيص:

قبل أن نتناول سياق الآية ينبغي أن نؤكد على ما تقدّم من أن ظاهر الآية - بصرف النظر عن سياقها- يدلّ بنفسه على عموم «الظلم» فلا نشعر بحاجة ماسة إلى تناول سياق الآية لإثبات ذلك، ولكن لا بأس في أن ندخل من باب تكثير الأدلة أيضاً فنلقي نظرة على السياق ونقول: إن سياق الآية لا يتعارض بأي وجه مع عموم معنى الظلم في الآية بجميع مصاديقه. فالآيات السابقة لها (٧٤: ٨١) تقصّ علينا حاجة إبراهيم عليه السلام مع قومه حول موضوع الشرك والتوحيد منتهياً إلى سؤال هام يوجّهه إبراهيم إلى قومه - كما هو دأبه- وهو ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ (الأنعام: ٨١) وفي معرض الإجابة على هذا السؤال الهامّ يقر الله تعالى سنة عامة من سننه التشريعية قائلاً: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢)

فلاشك في أن الشرك مصداق كامل من مصاديق الظلم حيث سماه القرآن ظلماً عظيماً (لقمان: ١٣). ولكنه ليس المصداق الوحيد، لا حتى المصداق الكامل الوحيد من مصاديق الظلم؛ لكي نسمح لأنفسنا بحصر هذه السنة الإلهية بمصداق واحد محدود وهو الشرك ههنا، خصوصاً أن «السِّيَاقَ وَمَوْضُوعَ الْإِيمَانِ قَدْ يَدُلُّ عَلَيْهِ (أي الشرك) دَلَالَةٌ غَيْرُ قَطْعِيَّةٍ لُغَةً، كَمَا عَلِمَ مِمَّا تَقَدَّمَ؛ وَلِذَلِكَ فَهَمَّ بَعْضُ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْهُ الْعُمُومَ الْمُطْلَقَ وَهُمْ مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ،»^(١) وبناءً على ما تقدم، يبدو أن أكثر ما يستفاد من السياق: هو أن الآية في مقام بيان أن الإيمان هو الذي يجلب الأمن والهدى،

(١) رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٧: ص ٤٨٥

وليس الشرك، فلا يستفاد إن من السياق أن الذي يسلب الأمن هو الشرك ليس إلا، بل كل ظلم يغطي الإيمان، أو يختلط به بشكل أساس يمكن أن يسلب الأمن كذلك.

ثم إن الآيات اللاحقة بسياقها مؤيدة لعموم الظلم كذلك، حيث نرى في الآيتين ٨٢ و٨٣ أن الشخصية الرئيسة للقصة وهو نبي الله سيدنا إبراهيم عليه السلام تنتقل بشكل تدريجي من مشهد «تقابل الشرك والتوحيد» إلى مشهد يمكن أن نطلق عليه عنوان «كمال الإيمان» وهو مشهد يتطرق إلى مواضيع إيمانية كالتذكير برسالات الأنبياء بأسمائهم، والإشارة إلى الهدى والصرط المستقيم والكتاب والحكم والنبوة والدعوة. (الأنعام: ٨١: ٩٠) وحمل الظلم على عمومه في كلا المشهدين أولى وأنسب من تخصيصه.

المحور السادس: الجمع بين قولي التعميم والتخصيص ممكن

يمكن الجمع بين قولي التعميم والتخصيص بطريقتين، وذلك دون الحاجة إلى تجاهل مقتضى الظاهر في كل من الآية والحديث، فالجمع مهما أمكن أولى من الطرح:

الطريقة الأولى: لا يجهل أحد أن الذنب كما ورد في كثير من الأحاديث حال تكراره والإصرار عليه يؤدي إلى سلب الإيمان^(١) مما يعني أن المؤمن الذي يغطي إيمانه بالخطايا عن طريق ستره أو خلطه الكامل بها، يفقد إيمانه لامحالة، فلا يُعدُّ مؤمناً كونه ارتكب شركاً باقترافه للمعاصي واتباعه لهوى النفس والشيطان واتخاذهما إلهين له من دون الله.^(٢) ثم إن الله تعالى قد أطلق حكم الخلود في النار للكافرين وللذين يصرون على خطيئاتهم من المسلمين على حد سواء، وذلك بناءً على الآيتين: ﴿وَلَيْسَتْ

(١) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، كتاب مسند الكثيرين من الصحابة، باب مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، رقم الحديث (١٤٧٣٤)؛ وكتاب مسند الكثيرين من الصحابة، باب مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث (٨٨٩٥)؛ حسين بن مسعود، البغوي (توفي ٥١٦ ق/ ١٢٢ م)، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط و محمد زهير الشاويش، دمشق/ بيروت، المكتب الاسلامي، ٩٨٣ م (ط ٣)، ج ١: ص ٨٧٩١، كتاب الإيمان، باب الكبائر، رقم الحديث (٤٦ و ٤٧).

(٢) انظر: رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٧: ص ١٤٤.

التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ
 الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارًا أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ (النساء:
 ١٨) ﴿وَبَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
 فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٨١)، وأخيراً قد يكون الأوفق مع القرآن والأكثر قبولاً: أن
 يُفهم الحديث على أن مقصود النبي ﷺ من تبيين الظلم بالشرك: هو الإشارة إلى أن
 مراد الآية من الظلم ليس كل لم يفلت من المؤمن، بل إنما هو الذنوب المنتهية إلى الشرك
 والتي يُعبر عنها في القرآن بعبارات: كحمل الظلم، وإحاطة الخطيئة والإصرار على
 الذنب.

الطريقة الثانية: إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يشعرون بالقلق؛ لتصورهم بأن ارتكاب آية
 خطيئة من شأنه: أن يغطي الإيمان كما يوحي بعض الأحاديث الأخرى بأن الزاني
 والسارق وغيرهما عندما يرتكبون فعلتهم يخرج منهم الإيمان ثم يعود؛^(١) لذلك فقد
 تدارك النبي ﷺ الموقف مبيناً أن مراد الآية من الظلم هو الشرك المطلق الذي يغطي
 الإيمان بالكامل وليس ذلك الشرك الذي يلازم ارتكاب الخطيئة وقد يزول بتوبة
 العبد. أما الشرك المطلق المتمثل في اتخاذ الشريك لله تعالى: فلاريب أنه عمل قلبي يغطي
 الإيمان حقيقة.

هكذا يمكن أن نجمع بين قولي التعميم الذي هو مقتضى ظاهر الآية، وبين التخصيص
 الذي هو مقتضى الأحاديث، فمع وجود إمكان الجمع هذا، ما الذي يسوغ إنكار
 مقتضى نص الآية والإصرار على الالتزام التام بمقتضى نص الأحاديث؟ وهل من
 مسوغ لهكذا تفسير للآية لدى أنصار النزعة الحديثية سوى نزعتهم الحديثية البحتة؟

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم و الغضب، بابُ النهي بغير إذن صاحبه، رقم
 الحديث (٢٤٧٥)؛ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب أبواب الإيمان، باب لا يزني الزاني وهو
 مؤمن، رقم الحديث (٢٦٢٥)؛ أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، كتاب مسند المكثرين من
 الصحابة، باب مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث (٧٣١٨).

النتيجة

١- النزعة الحديثية المتكونة لدى عموم المفسرين قد تركت تأثيراً مباشراً في الفهم الصحيح من الآية المباركة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهُتَدُونَ﴾ (انعام: ٨٢). فظاهر الآية يدل على عموم الظلم فيها إلا أن الأحاديث الواردة تدلّ - برأي المفسرين - على تخصيصه بالشرك.

٢- يبدو أن المعنى الصريح والدقيق للآية وفقاً لمقتضى الظاهر يكون على النحو التالي: «إن الذين آمنوا ولم يغطوا إيمانهم - عن طريق خلطه الشديد - بظلم، لهم الأمن والهدى» وهذا معنى مستقيم لا يبعث سؤالاً ولا شبهة ولا غموضاً.

٣- لاشك أن النبي الأكرم ﷺ هو مفسر القرآن ومبيّنه، وتفسيره للقرآن هو فصل الخطاب. وقد النزعة الحديثية السائدة بين أهل التفسير لا يعني بأي وجه من الوجوه تنقيصاً لمنزلة السنة في تفسير القرآن وإنما يرجع إلى التشكيك في صحة الأحاديث سنداً وامتناً. وفي تعامل السنة القطعية مع القرآن منح الأسبقية لواحد على الآخر سالب بانتفاء الموضوع.

٤- خلافاً لما يدعيه مؤيدو تخصيص معنى الظلم في الآية ٨٢ من سورة الأنعام، إن القرائن والشواهد اللغوية والقرآنية المدروسة تؤيد تعميم الظلم ونفي تخصيصه بالشرك، ومن جملة تلك القرائن: تنكير الظلم في سياق النفي، استعمال لفظ «لبس» في الآية بمعنى الستر أو الخلط الشديد، السياق السابق واللاحق للآية، تفسير القرآن بالقرآن، وتأيد التعميم في عبارات قرآنية أخرى نحو: «حمل الظلم» و«إحاطة الخطيئة»، نقض المدعى عن طريق الآية «إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»، عدم إمكان حصر مصداق الظلم الأتم في الشرك (فثمة مصاديق أتم أخرى للظلم)، وجود المثال الناقض وانعدام مثال صريح آخر في بقية الآيات القرآنية

٥- وأخيراً ورغم أنه ثبت أن الجمع بين قولي التعميم والتخصيص، أمر ممكن ومطلوب، ينبغي أن يقال: بأن رغبة أهل التفسير المفرطة في تفضيل دلالة الأحاديث - المفضية إلى التخصيص - على دلالة ظاهر الآية - المفضية إلى التعميم - قد لا تكون إلا وليدة ظروف أنتجت النزعة الحديثية البحتة في فهم القرآن والتي قد تجذرت في ضمائرهم على مر العصور.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. تحقيق أسعد محمد الطيب (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز. الطبعة الثالثة. ٤١٩ ق).
- ابن العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح (مقدمة التفسير) لابن تيمية. (الرياض: دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- ابن سيدة، على بن اسماعيل. المحكم والمحيط الاعظم. تحقيق عبدالحميد الهنداوي. (بيروت: دار الكتب العلمية. ٢٠٠٠ م).
- ابن فارس، احمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. (بيروت: دارالفكر. ١٩٧٩ م).
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). تحقيق محمد حسين شمس الدين. (بيروت: دار الكتب العلمية. ٤١٩ ق).
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. تذييل اليازجي وآخرون. (بيروت: دارصادر. الطبعة الثالثة. ٤١٤ ق).
- ابن حجر، احمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح الالبخاري. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. (بيروت: دار المعرفة. ٣٧٩ ق).
- ابوحيان، محمد بن يوسف. البحر المحيط في التفسير. تحقيق صدقي محمد جميل. (بيروت: دار الفكر. ٤٢٠ ق).
- احمد، احمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق شعيب أرنؤوط والآخرون. (الرسالة. الطبعة الثانية. ٢٠٠١ م).
- الأزهرى، محمد بن احمد. تهذيب اللغة. تحقيق محمد عوض مرعب. (بيروت: دار

إحياء التراث العربي . ٢٠٠١ م).

- البخاري، محمد بن اسماعيل . الجامع المسند.. (= صحيح البخاري)، تحقيق محمد زهير بن ناصر. (دار طوق النجاة. ٤٢٢ ق).

- البغوي، حسين بن مسعود. شرح السنة. تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش. (دمشق/بيروت: المكتب الاسلامي. ط (٢). ١٩٨٣ م).

- البقاعي، ابراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. (القاهرة: دار الكتاب الاسلامي. بلاتا).

- البيضاوي، عبدالله بن عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق محمد عبدالرحمن مرعشلي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي. ٤١٨ ق).

- الترمذي، محمد بن عيسى. الجامع الكبير (سنن الترمذي). تحقيق بشار عواد المعروف. (بيروت: دار الغرب الاسلامي. بلاتا).

- خاكبور، رحيم؛ معارف، مجيد. وازة شناسي تبين در قرآن ونقد نظريه ناممكن بودن تفسير بدون روايات». مجله «تحقيقات علوم قرآن وحديث. (رقم الثانى. مسلسل: ١٦. ٨٥١١٤. ١٣٩٠ هـ ش)

- الخليل (فراهيدي)، ابو عبدالرحمن بن احمد. كتاب العين. تحقيق مهدي الخزومي؛ ابراهيم السامرائي. (دار ومكتبة الهلال. بلاتا).

- الراغب (الإصفهاني)، حسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن. تحقيق صفوان عدنان الداودي. (دمشق/بيروت: دار القلم/ دار الشامية. ٤١٢ ق).

- رشيد رضا، محمد رشيد بن على رضا. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٠).

- الزبيدي، محمد بن محمد. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق جماعة من المحققين. (دار الهداية. بلاتا).

- الزحيلي، وهبة بن مصطفى. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. (دمشق: دار الفكر المعاصر. ط (٢). ٤١٨. ١ق).
- الزمخشري، محمود بن عمرو. الكشاف. (بيروت: دار الكتاب العربي. الطبعة الثالثة. ٤٠٧. ١ق).
- الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير. (دمشق/بيروت: دار ابن كثير/ دار الكلم الطيب. ٤١٤. ١ق).
- الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تاويل القرآن. تحقيق احمد محمد الشاكر. (الرسالة. ٢٠٠٠م).
- العيني، محمود بن احمد. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. (بيروت: دار إحياء التراث العربي. بلاتا).
- فخر الرازي، محمد بن عمر. مفاتيح الغيب. (بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط (٣). ٤٢٠. ١ق).
- القرطبي، محمد بن احمد؛ الجامع لاحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، (الرياض، دار عالم الكتب، ٤٢٣هـ ١٤٢٣م).
- القاسمي، جمال الدين بن محمد. محاسن التاويل. تحقيق محمد باسل عيون السود. (بيروت: دار الكتب العلمية. ٤١٨. ١ق).
- النسائي، أحمد بن شعيب. عمل اليوم والليلة. تحقيق فاروق حمادة. (بيروت: الرسالة. ط (٢). ٤٠٦. ١ق).